سؤال الهوية في الفكر العربي المعاصر

the question of identity in contemporary arab thought

عبير عقون

المركز الجامعي مغنية الجزائر

abireabire002@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/01 تاريخ القبول: 2022/03/27 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص:

يروم البحث المعنون بسؤال الهوية في الفكر العربي المعاصر إثارة موضوع جدلية التراث والعولمة من خلال الغوص في غمار رؤى فكرية بداءة مع قراءة محمد عابد الجابري التي تصف القطيعة الصغرى التي تفضي إلى عصرنة التراث، ثم القطيعة الكبرى مع قراءة عبد الله العروي التي تُعنى بالتخلي عن فكر الثوابت والمطلقات، تليها الانفتاح على الكونية والعمل على الشفاء من النرجسية الثقافية مع علي حرب، مرورا إلى رصد فكرة التراث والوعي بالخصوصيات الثقافية في عصر العولمة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، التراث، العولمة، محمد عابد الجابري، عبد الله العروي، علي حرب.

Abstract:

The research entitled the question of identity in contemporary arab thought aims to pose the question of dialectic of heritage and globalization by plunging into the heart of the first intellectual visions with the teading of muhammad Abed-Jabri، who describes the small break that leads to the modernization of heritage، then the major break with the reading of Abdullah Al-Arawi, anxious to abandon the thought of constants and absolutes, then the opening to universalism and the word of healing from cultural narcissism with Ali Harb, through monitoring the idea of consciousness and awareness of cultural particularities in the era of golobalization**.**

Keywords; identity, heritage, globalization**,** Abed-Jabri, Abdullah Al-Arawi, Ali Harb**.**

مقدمة:

يجمع العالم بأكمله على أن التراث هو كل ما يستحق الحفظ من العناصر المادية وغير المادية كونه بطاقة تعريف لكل أمة من الأمم فهو حلقة وصل بين ماضيها وحاضرها، كلما طُرحت قضية التراث طرحت قضية الهوية والتجذر التاريخي، فالهوية هي مبادئ وعقيدة وتاريخ ولغة وحضارة...تشكلت على اثر مجموعة من التحولات في الفكر العربي من أهمها حملة "**نابليون بونبارت" Napoleon ler** على مصر وخطاب الكلونيالية وما بعد الكولونيالية وحتى الحروب الطائفية مثل حرب الخليج والقضية الفلسطينية ناهيك عن حركات التحرر في العالم الثالث، إلا أنه كانت هناك قطرة أفسدت صفوة المياه وهددت الهوية العربية في عقر دارها ألا وهي العولمة؛ فقد غدا الإنسان في تيه بين المحافظة على الهوية التراثية أو الارتماء في أحضان الحداثة، **فهل التمسك بالتراث عامل مميت للمستقبل أو محي له؟ وكيف استقرأ الفكر العربي خطاب الهوية؟ وهل قراءاتهم قادرة على استيعاب تحولات الحداثة والصمود أمام العولمة؟.**

أولا: بين الهوية والتراث.

إن أكثر الكلمات شيوعا واستعمالا قد تكون أكثرها حاجة إلى الإيضاح لما تحمله مع الركض بين الشفاه وهو الأمر نفسه الحادث مع مصطلح التراث:

1. التراث اصطلاحا:

إن "**التراث هو الحامل لأصول القيم ومعالم السلوك والعامل على تحديدها والموجه للعواطف والعقول لتحويل المثل العليا في المجتمع إلى واقع معيش يحدد لهذا المجتمع خصوصيته وتميزه**".[1]

إذن هو عبارة عن ذلك المخزون الواسع الذي يشمل جميع الجوانب المتعلقة بالإنسان، هو عنوان لحضور الأب في الابن؛ تنعكس صورته من خلال العادات والتقاليد في العديد من المناسبات بطقوس خاصة وكذا سلوكات وأفعال وأقوال، لهذا

يمكننا القول بأنه خلاصة ما خلفه وورثته الأجيال السالفة للأجيال القادمة وهو ما يؤكده تعريف "**حسين علي المخلف**"في كتابه " **التراث و السرد**" بأنه "**انتقال شيء ما من عصر لآخر وهذا ما يشمل المادة والثقافة**".[2]

باعتبار أن الثقافة على حد تعريف "**ادوارد تايلور**"في كتابه "**الثقافة البدائية**" هي "**المجموع المعقد الذي يضم المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وجميع الإمكانيات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين**".[3]

البيئة هي أسبق من الإنسان في الوجود، أين كان على الإنسان أن يبتكر طرق ووسائل يستطيع من خلالها الإفادة مما تطرحه هذه الأرضية الجغرافية الطبيعية التي مهدت له سبل العيش والاستمرار منذ الأزل؛ وعليه أضحت العلاقة بينهما علاقة غضاضية مفصلية ضرورية لابد من توفرها، على هذا الأساس حول البيئة من كونها طبيعية إلى اجتماعية بفعله الإنساني لامتلاكه ملكة العقل التي ميزته عن كافة الكائنات الحية وبوصفه عضو ناشط وفعال حاول كل الوقت التخفيف من حدة وقع خضوعه الكامن وراء معطياتها الطبيعية.

الاختلاف الجغرافي يؤمن التنوع البيئي ومنه اختلاف معطيات الطبيعة من حيز لآخر وعليه اختلاف العمل البشري معها الأمر الذي يجعل نمط الحياة يخضع لقانون التحول لاإراديا للارتباط الوثيق بين قدراته وخصائصه الاجتماعية ومنها السياسية إلى الحضارية.

من هنا يمكن القول أن الثقافة عبارة عن منظومة مركبة ومتجانسة تشمل جميع انجازات الإنسان المادية وغير المادية بوصفه عضوا في المجتمع تظهر في الرموز والعادات والتصورات والتقاليد والقيم والأفكار والآمال والإبداعات والمبادئ أي كل ما ينتج عن شعوره، فعله،وتفكيره فالنشاط هو تفاعل مجموعة من الناس بالضرورة بشكل مستمر وتراكمي في أرض محددة تميزه تبعا لخصوصياته التاريخية والحضارية؛ وهو الأمر الذي يسلط الضوء أكثر على علاقة الإنسان بالطبيعة كون الثقافة ما يصنعه الإنسان في البيئة، يكشف عن خلجاته النفسية واهتماماته الروحية وأحلامه

وتطلعاته يتناقلها عبر الأجيال يعبر بها عن انفراده وخصوصيته، ومنه التراث مرتبط بالإنسان منذ نشأته كونه يعبر عن كل ما قام به.

طرح قضية الثقافة يستدعي طرح قضية التراث وهذه الأخيرة تستدعي قضية ثالثة تتمثل في الهوية. **فما الرابطة التي تشد التراث بمسألة الهوية ؟.**

كثيرا ما يحدث في حياتنا اليومية عمليات مستمرة نقيم بها الآخرين من خلال مظهرهم تصرفاتهم وطريقة حديثهم حتى رؤاهم لنعرف منهم كيف يفكرون اتجاهنا **وما هي مواقفهم منا فنشعر بالانجذاب أو النفور،نحن في هذه الحالة ننقب عن هوياتهم الشخصية فما هي الهوية؟**

2. تعريف الهوية اصطلاحا:

إن "الهوية كلمة مركبة من ضمير الغائب 'هو' مضاف إليه ياء النسبة للدلالة على السمات المميزة لشخص أو مجتمع أو أمة من الأمم".[4]

ومن هذا المنطلق يقول"بالر كوزن"في مؤلفه"البحث عن الهوية"أن"**هوية الأنا إحساس شخصي إنها خبرة أنا (...) الشعور بأنني شخصية متصلة، محددة، أمتلك جسدي وقواي الذهنية فاعل وقادر على اتخاذ القرار (...) فإنه من الصعب وصف الشعور بالهوية إنه ينساب في تفكيرنا وإحساسنا وتصرفاتنا بشكل بديهي، إلا أنه لا يصبح مدركا بشكل أوضح بالنسبة لنا إلا عندما يصبح مهدد بالتحطم**".[5]

وعليه الهوية شيء متعلق بالنفس لا الجسد يقوم على فعل التطابق أي أن يكون الشيء نفسه وليس غيره مطابقا له بعيد عن الانفصام أو الانقسام أن يكون هناك اتحاد كلي بين المثال والواقع، بين الروح والطبيعة دون أي جدل أو أي خلل يلتمس حقيقة التطابق،الجدير بالذكر أنه غالبا ما تظهر الهوية في حالات الانفعال كالغضب، تعب، حزن، تقلب، أمل، توتر، نفور، فخر، الأمر الذي يقضي إلى التعبير عن آرائنا الرافضة أو المؤيدة بشكل حازم فإننا عندئذ نشعر بحقيقة انتمائنا وهوياتنا كمادة محفزة للرد الفوري، ويحفزها كذلك من الجهة الأخرى الاختلاف والمقارنة بالآخرين فنعود إلى الماضي لتذكر أمجادنا ونستدعي تسلسل الأحداث الفائتة، بهذا يشعر المرء

بأنه هو نفسه ويدرك ذاته وعالمه النفسي الداخلي يشعر أنه منتمي إلى محيط جغرافي واجتماعي وثقافي محدد يصفه عضوا فيه متحد معه بشكل دائم، كنوع من النرجسية السليمة التي تُشعر الفرد بالتجذر في الأسرة ثم المجتمع والشعب إلى الوطن الذي يحمل جنسيته.

ولا مناص من القول أن الهوية صورة الذات بمعنى"**التصور الذي يعمله الإنسان حول خصائصه ونقاط ضعفه ومنشأه وعلاقاته الاجتماعية وقيمه وأهدافه الحياتية، ومن المؤكد أنه قد لا يوجد دون مفصلة نستمد منها هنا كل الخبرات ونسند إليها كل الخبرات، أية خبرة للترابط النفسي**".[6]

إلا أنه " **صورة تراجع عام لدور الدولة وانحسار نفوذها، وتخليها عن مكانتها شيئا فشيئاً لمؤسسات أخرى تتعاظم قوتها يوماً بعد يوم هي الشركات العملاقة متعددة الجنسيات**"[7]

الدولة أو أجهزة الدولة كما يصطلح عليها الفيلسوف "لوي ألتوسير" هي الأداة التي تسيطر بها الطبقات المستبدة لقهر الطبقات الخاضعة وجعلها تحت إمرتها، بما أنها هذه الدول قد أعادت بناء نفسها من جديد بعد الحرب العالمية الثانية لتظهر للعلن بقوة مضاعفة وبتطور تقني رهيب باتت أراضيها لا تسعها لاستعاب هده القوة الهائلة؛ كان عليها أن تجد أراضي أخرى تستغلها لتواصل تألق نجمها فوقع حظ الاختيار على دول العالم الثالث أرست أرضية ثابتة لشركات عملاقة منها صندوق النقد الدولي وشركات متعددة الجنسيات تحمل من اليد العاملة العدد الكبير من كل شبر من العالم لتضمن بسط نفوذها ولتقليص مسافة سيطرة هذه الدولة المتخلفة فلن تترك المجال أمام دول أقل قيمة منها لسيطرة.

من هذا الموقع بزغت دول غربية متقدمة على أراضي الدول المتخلفة تعمل على تسير أمورها وتقديم الإعانات اللازمة للخفض من سقف البطالة وكذا توحيد سوق السلع وإزالة كل العقبات التي من شأنها أن تعيق الحركة التنقلية للسلع مع توفير الأمن لها، الأمر الذي أكسبها مع مرور الوقت الأحقية والشرعية في التدخل في عملية

الإنتاج نفسها فتفرض مواصفاتها بوصفها ربة العمل ورأس المال وبها قهرت الطبقة العاملة ولاءً للطبقة الحاكمة وإيهامهم أن مصالح هذه الطبقة هي مصالح الدولة.

كانت هذه التسهيلات في صورة مبطنة عبارة عن استثمارات خاصة تغدو فيما بعد سلاح فتاك وورقة رابحة تتحكم بها في هذه الدول الضعيفة، من هنا بدأت هذه الأخيرة لعجزها ترخي قبضتها على اقتصادها وعلى المجتمع بصفة عامة وتفتح المجال أمام الغرب للكسح أراضيها وثقافة شعبها.

في إطار صراع الحضارات المتعدد في المجتمع البشري من الضعف والإقصاء والتهميش والاستعباد والاستعمار أمام الكيانات الأقوى تحاول الكيانات الأضعف بكل قوتها المحافظة على هويتها والعودة في كل مرة إلى أصليتها التراثية فمصطلح الهوية في حد ذاته لفظ تراثي قبع في تعريفات العرب قديما منذ عهد الجرجاني فتحاول إبراز ملامحها بشكل أوضح وأدق لتضمن استمرارها قدرتها على التمسك بخصوصياتها الثقافية.

من هنا يمكن القول أن **"العودة إلى الجذور هم طاغ في العديد من ثقافات العالم المعاصر، ولاسيما منها تلك التي تعاني من أزمة الهوية في خضم تصاعد مد المثاقفة على نحو غير مسبوق إليه سرعة وكثافةً وشمولاً في تاريخ العلاقات بين الجماعات البشرية**".[8]

السبق الحضاري للغرب على العرب أحدث جرحا نرجسيا مشتركا لدى العرب جميعا على اختلاف حدودهم الجغرافية، هذه التروما التي كانت ولا تزال رهن التفعيل المضاعف في الجزء الشرقي من الكرة الأرضية عصية الالتئام؛ بحكم الهزيمة الساحقة أمام المشروع الصهيوني الشيء الذي ضخم برنامج الإيديولوجيات الثورية تحت تأثير النظرة الماركسية، إلا أنها لم تدم طويلاً فنُقل التراث إلى ساحة المعركة ليكمل المشوار وغدا التراث إديولوجيا بديلة لكل المستوردات، ذلك أن الثقافة الشعبية أو أساليب الحياة الشعبية التي يحملها مصطلح التراث في طياته كونها **"العنصر الأهم في تكوين الهوية الجماعية للشعب أو للأمة وهي الجزء الأهم في الحفاظ على هذه الهوية وفي ضمان استمرارها**".[9]

الثقافة الشعبية نابعة من عمق الأحياء الشعبية وعفويتها سهلة التداول والحفظ لتميزها بالتواتر الشفوي كونها تعتمد عل الذاكرة أكثر، تشمل كل ما يتعلق بالإنسان ضاربة في جذور الحضارة وثقافة الأمة فتغلب عليها صفة القدم أضف إلى أنها تحمل قيما أصيلة غير معقدة بعيدة عن التكلف والتصنع،متحررة من أي تحكم سلطوي إداري رسمي وأهم نقطة أنها تسهل التعبير عن الهوية ببساطة من خلال اللباس، الأكل التقليدي الخاص، العادات والتقاليد، العمران والمباني،الحدائق، ولاسيما الأقوال التي تندرج ضمن الأدب الشعبي الذي تختص وتتفرد به كل أمة على حدة حافظت على وجودها إلى حد اليوم واستحقت مصطلح التراث لتعبر به عن هوية تاريخية حقيقية متجذرة.

ثانيا: سؤال التراث في الثقافة العربية

انطلاقا من الواقع الافتراضي نحن أمة تتغنى بأفكار إيديولوجية تتمثل في التمسك بالتراث ولكن الممارسة الفعلية على أرض الواقع المعاش هو فعل عكسي، أين أصبح الإنسان يعيش وسط تخبط بين الوفاء للهوية أو الارتماء في أحضان الحداثة، فغدت الهوية منشطرة بين الخصوصية و الكونية؛ بين هذا الذي يدافع عن خصوصيتها ويرفض الكونية بحجة أنها استعمار في حلة جديدة وهو صورة أخرى للتفكير السطحي والتقليد الأعمى،ظاهرها تحديث وتطور وباطنها استعمار تمارسه دول العالم الأول على دول العالم الثالث من بين هؤلاء نجد:"**عبد الوهاب المسيري، كمال عبد اللطيف...**" تمسكوا بفكرة عدم التسليم بالمركزية الغربية.

أما الوجه الآخر للقضية يدافع عن الكونية بحجة أنها تفتح الهوية على أفق حضاري واسع من خلال حوار الثقافات وبها تُخرج الثقافة العربية من عزلتها وستغير العالم لتصل بالتكنولوجيا إلى مراكز عليا وتوفر خدمات ومعلومات مفيدة للإنسان كما أنها تسهل مرور السلع وتعيد تنظيم الحياة الاجتماعية إلى حرية و رخاء وسلام .

1. **قراءة محمد عابد الجابري : القطيعة الصغرى.**

يرى الجابري أن " **الفجوة قائمة وعريضة بين ماضينا ومستقبلنا المنشود، فيما نسميه التراث يوجد 'هناك' في فترة من فترات الماضي، إنه تراث حضارة توقفت فيه جوانب التقدم والإبداع منذ زمان، فأصبحت بعيدة عن واقع العصر الذي نعيش فيه والفكر الأوروبي أصبح اليوم فكرا عالميا يوجد هو الآخر 'هناك' كحلقة في سلسلة من التطور لم نعش بدايتها**".[10]

أراد أن يقف على نقطة أساسية في تحليلاته هي أن التراث هو مادة عائقة تجذب الإنسان إلى الماضي وتجعله يقبع في زاوية بعيدة عن العصر ومتطلباته إذ أنه بالنسبة له يعرقل خاصية التطور كونه لا يتماشى وروح العصر في حين أن الفكر الغربي قد قطع أشواطاً من التكنولوجيا والنمو الذي لم يشاهد العربي منها سوى البداية.

ويواصل حديثه قائلا:"**نحن في حاجة إلى مراجعة مواقفنا في حاجة إلى رؤية جديدة شمولية واعية تتخطى الحواجز المصطنعة وتتجاوز الدوائر الوهمية و تنظر إلى الأجزاء في إطار الكل وتربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل، رؤية يتحد بها و فيها كل من الموقف والمنهج**".[11]

بعد التوقف التطوري في العالم العربي أصبحت المواقف في حيرة من أمرها بين ثلاث دوائر: التراث بوصفه ماضيا والحاضر وكذا المستقبل، **في أي اتجاه تسير ومن أين تبدأ؟ وإلى أي دائرة تتجه؟.**

ذلك أن التراث لا يمكن الاعتماد عليه بشكل كلي لأن ما يكون في الماضي قد لا ينطبق جله على دائرة الحاضر وقد يغيب كذلك في دائرة المستقبل، وفي نفس الوقت لا يمكن رفضه للسبب نفسه فشئنا أم أبينا التراث يحمل جينات هوية تُبنى على أساسها أهم مرتكزات الحاضر الشيء الذي قد يعجزنا عن استشراف المستقبل إلا على ضوء خبراتها، ومما لا شك فيه أن تغير الحاضر لا يعني البداية من الصفر فلا شيء يبنى على الفراغ، إنما لابد من وجود مرجعيات سابقة تكمل المسار، ونظرا لكون التراث العربي الإسلامي يتصف بسمة العالمية والشمولية فهو ثقافة حضارة أخذت من

كل ثقافة شيئا ، متوغل في القدم يشمل العديد من جوانب الحياة الإنسانية والسياسة والاجتماعية والفكرية فهو تراث حضاري واسع.

هذا يؤكد على ضرورة الإشارة إلى أنه لا يوجد في العالم المعاصر ثقافة تواجه الحداثة أو الأوربة أو الأمركة أو العولمة بمصطلح آخر مثلما تفعل الثقافة الإسلامية، فلو عدنا قليلا إلى الزمن الماضي لوجدنا أنه حتى الثقافة المسيحية والكنسية رفضت الحداثة مع بداية العصر الحديث و إن لم تتصادم معها كما هو الحال مع الثقافة الإسلامية ذلك أن القاسم المشترك بين هذه الأخيرة والحداثة هو أن كلاهما يهدف إلى العالمية والشمولية وكلاهما يرى نفسه رسالة هداية وبشرى للعالم للتقدم والتمدن والتحديث.

المعاصرة هي عبارة عن صياغة جديدة لمجموعة من الأصول المعروفة تساعدنا على حل مشاكلنا واكتشاف رؤى جديدة واعية للقضايا التي تواجهنا، من أجل هذا يدعو الباحث الجابري إلى إعادة قراءة تراثنا قراءة نقدية مختلفة تحترم عالميته و خصوصيته في آن واحد و تدفع الحاضر نحو المستقبل بواسطة منهج سلفي يعمل على التقنية الانتقائية ذلك أنه لا يجوز و من غير المنطقي أن يتم نقل صراعات الماضي إلى الحاضر لتستمر فيما بعد نحو المستقبل بحذافرها فقد كانت لها مبررات في الماضي لم تعد اليوم قابلة للتداول، لهذا وجب تقديم قراءة عصرية للتراث بدل القراءة التراثية للتراث وبالتالي تجنب الوقوع في فخ القراءة التراثية للعصر.

2. قراءة عبد الله العروي: القطيعة الكبرى

يظهر موقف عبد الله العروي فيما يخص التراث في قوله بأنه من أجل خلق ثقافة تعود أصليتها إلينا و تتحد لابد لنا أن نعمل على إعادة بلورة فلكلور جديد " **إن موقفنا اليوم يتلخص في رفض تراثين : تراث الثقافة المسيطرة على عالمنا الحاضر التي تدعي العالمية والإلمامية وتعرض نفسها علينا إلى حد الالزام والضغط ولا تفتح لنا بابا سوى التقليد أو الاعتراف بالقصور، وتراث ثقافة الماضي الذي اخترناه**

تعبيرا لنا في عهودنا السابقة لكنه لم يعد اليوم يعبر عن جميع جوانب نفسياتنا" .[12]

لا يستطيع الإنسان أن يعيد إحياء ما مات أي لا يمكن إعادة بث الحياة في فلكلور انقضى وقته وزال ولكن يستطيع تعريف أبناء المجتمع بتاريخ وتراث أجدادهم لكي يتعرفوا على ماضيهم وما يحمله بين طياته من خبرات واسعة قد تلزمهم في حياتهم المستقبلية إن أعاد التاريخ نفسه وكذا يتعرفون على حقيقة جذورهم ويمكن كذلك أن يعيد استلهام عناصر ومواد ثقافية جديدة من التراث القديم،وذلك عن طريق استحداث منهج آخر يبتعد كل البعد عن الثقافة الغربية.

العروي يطالب بدمج الثقافات لأن المحيط الذي نعيشه هو مزيج منها وهدف كل ثقافة الارتفاع بمستوى الإنسان وتعميق قدراته ليتوسع ويتعمق فيها دون رفضها من أجل بناء إحساس جديد وتعبير جديد.

3. **قراءة علي حرب: الانفتاح على الكونية**

يقلب هذا الأخير التساؤل **من لماذا نقرأ التراث؟ إلى كيف نقرأ التراث؟** فيرى أن الهوية شيء يصنعه الإنسان بمحض إرادته فهو عديم الهوية المسبقة، يمارسها ليس باختلافه عن غيره فحسب وإنما باختلافه عن ما كان سابقا وبانفتاحه عن ما لدى غيره، فيقول في هذا **"هناك ثقافة منغلقة (...)تتصف بالمحافظة والانشداد إلى الماضي والتشديد على الهوية والتراث، وهذه هي ثقافة المغلوب والضعيف فالضعيف يتمسك بما عنده بينما القوي يطلب ما عند غيره، وهناك بالمقابل ثقافة تطلق قوى الإنسان من عقالها وتتيح للعقل أن يخرج من عجزه وقصوره".**[13]

الأمر تجاوز فكرة أن الغرب يحط من شأن العرب بالرغم من أن العلاقة بينهما هي علاقة تحدي وتنافس واصطدام دائم ولكن هذا حال كافة البشر سواء أكانوا أعداء أو إخوة، أصبح الانشغال انشغالا بتشكيل هوية جديدة ورؤى جديدة للعالم وعقد عقد بينه وبين غيره وحتى بينه وبين نفسه على اثر تفكيك الهويات المتنابذة؛ أن يصنع ذاته من جديد لا ترضخ للغربي وتستوحي من تقاليدها وتراثها خبرات واستثمارات توظفها لا

أكثر، يكون هذا عبر تغير مسار النقد لتكون محطة انطلاقه الأولى من نفسه يشخص بها أزمته ويقف عند نقائصه وزلاته وليبنى على إثرها إنسان جديد يساوي بين الخصوصية والعالمية، التجارب والنماذج، بين المراجع والأصول، الخطابات والنصوص وإن كان سيكون هناك اختيار فسيكون على أسس معرفية وجمالية لا عرقية أو دينية فهوية الإنسان حيث يبدع وينحصر.

ثالثا: التراث والوعي بالخصوصيات الثقافية في عصر العولمة

حياتنا ترتمي بين أسئلة شكلت حلقة ملتهبة متصلة بالمجتمعات المعاصرة من ناحية الهوية والتراث والعولمة التي تتزامن مع حقبة ما بعد الحداثة، العولمة هي " **عملية صيرورة العالم مكانا واحدا**".[14]

أي أنها تُعنى بتعميم الشيء حتى يكتسب صفة العالمية، البعض يحاول تصويرها على أنها "**تنطوي على عملية التحرر (...) من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا تحرر من أي تعصب لأيديولوجيا معينة إلى الانفتاح على مختلف الأفكار من دون أي تعصب وتشنج**".[15]

هذا يفضي إلى أن العولمة هي عملية الخروج من بوتقة الدولة القومية إلى الدولة الإنسانية الواسعة ومنه الابتعاد عن التحيز إلى مبدأ أو دين أو إيديولوجيا بعينها إلى الحياد الثقافي وذلك عن طريق الانجذاب إلى العناوين البراقة التي تطرحها الدول الغربية في الواجهة من أهمها: حقوق الإنسان، الديمقراطية ، الرفاهية الإنسانية، الجمال، الأخلاق، الحرية، العقلانية... دون التساؤل عن طبيعة المنتجات والسلع التي أصبح تبادلها أسرع أو التساؤل عن الأفكار التي أصبحت رائجة بصورة هائلة بواسطة الإعلام فمن يدفع للزمار يختار اللحن بما أن الدول الغربية هي من تتحكم باقتصاد الدول العربية عن طريق شركاتها العملاقة من مثل الشركات المتعددة الجنسيات أو صندوق النقد الدولي و البنك الدولي وغيرها التي مكنتها من شرعية الموافقة والرفض على ما يتم صنعه وما يتم بثه في العالم الثالث.

تماشيا مع ما تم ذكره غدت الهوية الثقافية تعاني جراء هذا؛ ذلك أن **"كل هذه الاستثمارات الأجنبية وهذه السلع المستوردة في طياتها ثقافة مغايرة تسحق ثقافات الأمم المستوردة لها".**[16]

يبقى تساؤل رهن الطرح **ما صورة الحرية المتوقعة في ظل هذا التنظيم الجديد الذي يروج له بحجج العولمة نفسها؟**

العولمة مفهوم يوصل إلى تطور تقاني من شأنه أن يوسع أفق المستقبل ويطبق العلم والتقدم بشكل أوسع وخلق نظام عالمي نموذجي موحد نمطي يرفض التمايز والتخصص بينما الهوية تقوم على مبدأ التخصص والاختلاف تنتقل من العام إلى الخاص ومن الشامل إلى التعدد على عكس العولمة التي تنتقل من الخاص إلى العام واللامحدود واللاتجانس فتنشأ بينهما علاقة صراعية تصادمية فهل ستحافظ الهوية الثقافية على بقاءها ؟.

العولمة تحمل في طياتها نية الغزو الثقافي للاعتداء على الهوية الثقافية عن طريق قهر الثقافة الأقوى للأخرى الأضعف من أجل المصالح الرأسمالية لاستغلالها اقتصاديا بحجة تعظيم الإنتاج ونشر الحضارة والتطور عبر وسائل الإعلام بين القنوات التلفزيونية والفضائية وشبكة الانترنت والجرائد والصحف والأقراص المدمجة والهاتف.. حيث قامت الشركات الأجنبية الأمريكية مثلا بنشر عن طريق هذه الوسائل لغتها الانجليزية وأنماط استهلاكها الأمريكي، ناهيك عن الوسائل الفنية كالسينما التي تهيمن عليها الأفلام الأجنبية والموسيقى الغريبة والمأكولات والملبوسات والمواصلات...حتى نمط العلاقات الأسرية والاجتماعية والجنسية غدت تنظيمات من نوع خاص مختلفة تماما تعيد هيكلة التراث بشكل غير مباشر، الأمر الذي يبعدنا أكثر عن العقلانية **فما نفع حرية البث والإنتاج السلعي في القطاع الواحد وحرية التوزيع والتسويق إن كان هذا يشمل التعامل مع إسرائيل؟ وما فائدة استعمال الأدوات والتقنيات المتطورة في توسيع مجرى النيل مثلا إلى شرقي مصر إن كان هذا سيوصله إلى إسرائيل فيما بعد؟ أليست هذه العقلانية قد تجعلنا فيما بعد نحقق أهداف إسرائيل فيما توعدت فلسطين بمحض إرادتنا؟**

كل منا في وصفه للعولمة سيتخذ جانبا معينا يتحدث فيه دون أن يعترف بأن الجانب الذي يتم وصفه من طرف شخص ثاني هو كذلك على صواب؛ ذلك أن كل المواقف المؤيدة والمعارضة للعولمة تحمل جزء من الحقيقة.

خاتمة

وصلنا إلى توقيع أسطر النهاية لتكون هذه الخاتمة آخر محطة نقف عندها في فصفصتنا للموضوع والتي أردناها أن تكون حوصلة شاملة لأهم النقاط التي توصلنا إليها والتي أماطت اللثام عن كثير من النقاط كان أهمها:

- كلما طرحت قضية الهوية طرحت قضية التراث والتجذر التاريخي حيث تشكل الخطاب الهوياتي على اثر مجموعة من التحولات في الفكر العربي من مثل حملة نابليون بونارات على مصر والخطاب الكولونيالي وما بعد الكوونيالي وكذا الحروب الطائفية...

- أهم نقطة هددت الهوية العربية في عقر دارها هي العولمة بوصفها تعمل على تعميم الشيء ليكتسب صفة العالمية عن طريق وسائل الاتصال والإعلام والوسائل الفنية والاقتصادية عن طريق الشركات الأجنبية... خطط لسلب القضايا التراثية التي تعلق بها الشعب وسلب خصوصياته الثقافية وتذويب الهوية لتصبح الأنا تابعة للآخر.

- غدى الإنسان العربي يعيش وسط تخبط بين الوفاء للهوية والانتصار للعولمة.

- الهوية بين مدافع عن الخصوصية ورافض للكونية باعتبارها استعمار في حلة جديدة وبين مدافع عن الكونية كونها تفتح الهوية على أفق حضاري واسع يتيح فرصة حوار الثقافات.

- ينقسم سؤال الهوية في الفكر العربي إلى ثلاث تيارات: الأول مع محمد عابد الجابري الذي لم يحدث القطيعة الابستيومولوجية بين التراث والحداثة وعمل على إعادة بناء مفهوم الحداثة بما يتناسب ومعطيات التحديث. والثاني مع عبد الله العروي الذي أحدث القطيعة الكبرى فيرى أن العقل العربي لم يستوعب القيم الحداثية لأنه يعيش على القيم التراثية فالتراث بالنسبة له عامل ميت للمستقل. أما

التيار الثالث والأخير فكان مع علي حرب الذي يدعو إلى الانفتاح على الكونية وينادي بخلق الهوية الرمادية .

هذه أهم النتائج والملاحظات النهائية التي انكشفت لنا من خلال رحلتنا البحثية هذه، لنقول في الختام أيضا إن هناك الكثير من النتائج والملاحظات تضمنها البحث في صلبه عزفنا عن ذكرها تفاديا للتكرار.

قائمة الإحالات:

[1]عاطف عطيه، في الثقافة الشعبية العربية بنى السرد الحكائي في الأدب الشعبي، جروس برس، لبنان، ط1، 2016. ص:7.

[2] حسن علي المخلف، التراث والسرد، وزارة الثقافة والقانون والتراث، الدوحة (قطر)، ط1، 2010، ص:15

[3]: عاطف عطيه، في الثقافة الشعبية العربية،ص:19.

[4]، محمد محمد داود، اللغة و الهوية.أنا ..و الآخر والسيادة الوطنية، المنار،القاهرة (مصر)،ط2009،4، ص:13.

[5] بالركوزن، البحث عن الهوية.الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، ت: سامر جميل رضوان، الكتاب الجامعي، الإمارات، ط1، 2010، ص:95.

[6]المرجع نفسه، ص:95.

[7] جلال أمين، العولمة ، الشروق، القاهرة (مصر)، ط4، 2009،ص:22.

[8] جورج طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، الساقي، بيروت (لبنان)، ط3، 2012، ص:7.

[9] المرجع نفسه، ص:133.

[10] محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة. دراسات ...ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، ط1، 1991، ص:36.

[11]المرجع نفسه، ص: 37.

[12] عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء (المغرب)، ط2، (د.ت)، ص:113.

[13] علي حرب، الممنوع و الممتنع نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 1995، ص:110.

[14] بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالة.المفاهيم الرئيسية، ت: أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة (مصر)، ط1، 2010، ص:188.

[15] جلال أمين، العولمة، الشروق، القاهرة (مصر)، ط4، 2009،ص:32.

[16] المرجع نفسه،ص:44.

قائمة المراجع:

1. عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء (المغرب)، ط2، (د.ت).

2. بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالة.المفاهيم الرئيسية، ت: أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة (مصر)، ط1، 2010م.

3. بالر كوزن، البحث عن الهوية. الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، ت: سامر جميل رضوان، الكتاب الجامعي، الإمارات، ط1، 2010م.

4. جلال أمين، العولمة، الشروق، القاهرة (مصر)، ط4، 2009م.

5. جورج طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، الساقي، بيروت (لبنان)، ط3، 2012م.

6. حسن علي المخلف، التراث والسرد، وزارة الثقافة والقانون والتراث، الدوحة (قطر)، ط1، 2010م.

7. علي حرب، الممنوع و الممتنع نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 1995م.

8. عاطف عطيه، في الثقافة الشعبية العربية بنى السرد الحكائي في الأدب الشعبي، جروس برس، لبنان، ط1، 2016م.

9. محمد محمد داود، اللغة و الهوية.أنا ..والآخر والسيادة الوطنية، المنار،القاهرة (مصر)،ط2009،4م.

10. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة. دراسات...ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)،
ط1991،1 م.